وسلم انه قال أعربوا القرآن ، وقد كانت العرب تجتنب اللحن فى اللغة اجتنابها للذنوب فيما يقرأون او يكتبون اما فى عهد ابن الانبارى كما يقول فقد كثر اللحن حتى ان المحدث يحدث فيلحن والفقيه يؤلف فيلحن ، ويروى ابن الانبارى حادثة وقعت له فيقول « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراها من فقه الشافعى بالرتبة العليا فى القياس فقلت له ما حقيقة القياس ومعناه ومن أى شىء هو فقال ليس على هذا وانما على اقامة الدليل على صحته ، فماذا تقول فى رجل يروم اقامة الدليل على صحة شىء لا يعرف معناه ولا يدري ما هو ونعوذ بالله من سوء الاختيار »

هل وصلتنا اللغة العربية بكليتها :

فى الواقع أن الذى جاءنا من العرب قليل من كثير وقد ذهب كثير من كلام العرب بذهاب اهله وقد ذكر علماؤنا أن الذى وصلنا من كلام العرب قليل من كثير ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير . ولا نزال نسأل علماء اللغة عن حقيقة ما قالته العرب مثال :

كذبت عليكم أوعدونى وعللوا
بى الارض والاقوام قردان موطنا

وعن قول الآخر :

كذب العشيق وماء شر بارد
ان كنت سائلتى غبوقا فاذهبى

وكذلك عن قول الآخر :

عنكموا فى الارض انا مذحج
ورويدا يفضح الليل النهار

وقولهم : « أعمد من سيد تتله توءمه » اى هل زاد ؟ فهذا من مشكل الكلام الذى لم يفسر بعد .

قال ابن ميادة :

واعمد من قوم كفاهم اخوهم
صدام الاعادى حين تلت نيوبها

يقول الخليل وغيره : هل زدنا على ان كفينا اخواننا ؟

قال ابو ذؤيب :

صخب الشوارب لا يزال كأنه
عبد لآل ابى ربيعة مشبع

فقوله مشبع ما فسر حتى الآن تفسيرا شافيا .

وقال الاعشى :

ذات غرب ترمى المقدم بالردف
اذا ما تتابع الارزاق

وقوله فى القصيدة :

المهينين مالهم فى زمان الـ
حرب حتى اذا افاق افاقوا

وكذلك قولهم :

« يا سىء مالك ، ياجىء مالك » . ولم يفسروا قولهم : صدر ويهتفون وحى هل ويقولون خالكم وخايكما. أما الزجر والدعاء الذى يفهم موضوعه فكثير كقولهم : هلا وهج وهجا ودع ودعا وينشدون للعاثر :

ومطية حملت ظهر مطية
جرح تنمى مل العثار يدعدع

ويروى ينم من العثار .

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا دعدع ولا لعلع ولكن قولوا ارفع وانفع ». فلو لا أن للكلمتين معنى مفهوما عند القوم ما كرههما النبى صلى الله عليه وسلم . وكقولهم فى الزجر : آخر واخرى، وهاء وهلاها، وارجى، وعد، وعاج، وياعاط. وينشدون : كان على الجىء ولا الهىء امتداحكا .

المشتبه الذى يقال فيه بالتقريب والاحتمال:

عن المشتبه الذى يقال فيه بالتقريب والاحتمال وما هو بقريب اللفظ ولكن الوقوف على كنهه معتاض مثال الحين والزمان والدهر والاوان اذا قال القائل او حلف الحالف والله لا كلمته حينا ولا كلمته زمانا ودهرا ومثل القول بضع سنين مشتبه واكثر هذا مشكل لايقصر بشىء منه على خبر معلوم ومثل القول فى الغنى والفقر والشرف واللئيم ، اذا قال قائل والاغنياء أهلى لم يحدد اشرافهم او كرامهم او لئامهم وكذلك ان قالوا امنعوا سفهاء قومى لم يكن تحديد السفه .

ويروى ابن الانبـــارى حادثة هى أنه شاهـــد قاضيا يريد الحجر على رجل مكتهل فسأل ما السبب فى حجره عليه فأجيب بزعم انه يتصدر بالدلاب وانـــه سفيه فقرىء على القاضى قوله عز وجل « تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم » فأمســـك القاضى عن الحجر على المكتهل · وقد كان ناس يعرفون بالتقريب والاحتمال كالقول للناقة عيسود وعيسحود وامراة ضناك وفرس اشق أمق ختق · وقد ذهب هذا بذهاب اهله ولم يبق الا الرسم الذى نـــراه ·

انتهـــاء الخـــلاف فى اللغـــة

تقع فى الكلمة الواحدة لهجتان كقولهم الصيرام والصرام ، والحصاد والحصاد ·

ويكون للكلمة ثلاث لهجات مثل الزجاج والزجاج والزجاج ، والصداق والصدقة والصدقـــة ، ومثـــل وشكان ووشكان ، ويكون فى الكلمة اربـــع لهجات نحو الصداق والصداق والصدقة والصدقـــة ويكون فيها خمس لهجات نحو الشمـــال والشمـــل والشمل والشامل والشمل ، وتكون فيها ست لهجات نحو فسطاط وفسطاط وفسطاط وفسطاط وفستـــاط وفستاط وفستاط ، ولا يكون اكثر من هذا ·

الكـــلام اربعـــة ابـــواب :

1 ــ المجتمع عليه : لاعلة فيه وهو الاكثر والاعم مثل الحمد والشكر لا اختلاف فيه فى بناء ولا حركة

2 ــ الذى فيـــه اختـــلاف ·

يأتى على لهجتين احداهما افتح من الاخـــرى نحو بغدادا وبغداد وبغدان ، كلهـــا صحيـــحة الا ان بغداد افصح وفى كـــلام العـــرب افصح ·

3 ــ ما فيه لهجتان او ثلاث فاكثـــر :

وهى متساوية كالحصاد والحصاد ، والصداق والصداق ، اياما قال القائل صحيح ·

4 ــ مافيـــه لهجـــة واحـــدة :

ــ الا أن المولدين غيروا فصارت السنتهم تخطىء نحو قولهم اصرف الله عنك كلا واغاص ، وآخـــرة مطاعة وعرق النساء ·

المولدون : ــ هم ابناء العرب من أمهات اجنبيات

ــ الغريب والواضح فى كـــلام العرب ــ

واضح كـــلام العـــرب :

الكلام الذى يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب مثل شربت ماء ، ولقيت زيدا وكما جاء فى قول الله جل وعز حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ احدكم من نوم فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثـــلاثا ، وكقـــول القائـــل :

ان يحسدونى فانى غير حاسدهم
قبلى من الناس اهل الفضل قد حسدوا

وهـــذا اعم الكـــلام واكثـــره ·

غـــريب كلام العـــرب :

يأتى من غرابة الفاظه او فيه اشارة خبـــر لـــم يوضحه قائله او يكون الكلام فى شىء غير محـــدود او غير مبسوط بل وجيز فى نفسه او الفاظه مشتركة ·

الغريب اللفظ : مثل يملخ فى الباطل ملخـــا . ومثل قاتم الاعماق شاز بمن عوه · ومن أمثال العرب باتمـــه وشراب بانقـــع ·

والذى جـــاء خبـــرا لـــم يفصح به مثـــل :
لم افر يوم عنيز ، وقول امرىء القيس : دع عنـــك نهياصح فى حجراته ، وقول الآخر : ان العصا قرعت لذى الحلم · وفى كتاب الله عز وجل مالا يعرف معناه الا بمعرفة قصته مثل قوله تعالى : قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله ، ومثل قولـــه تعالى : واقيموا الصلاة ، فهذا مجمل غير مفصـــل حتى فصله الرسول عليه الصلاة والسلام ·

حقيقة الكـــلام

تعريف : الكلام ما سمع وفهم مثل قام زيـــد ، وذهب عمرو · وتعريف آخر أن الكلام حروف مؤلفـــة دالة على معنى · والقولان متقاربان لان المســـوع المفهوم لا يكاد يكون الا بحروف مؤلفة تدل على معنى · ويذكر ابن الانبارى عن بعض فقهاء بغداد أن الكلام على ضربيه مهمل ومستعمـــل ·

والمهمل على ضربين ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه فى كلام العرب بتة وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين أو هاء مع هاء فهذا وما اشبهه لا يأتلف · والضرب الآخر ما يجوز تآلف حروفه ولكن العرب لم تستعمله ويعتبر غريبا وذلك كارادة مريد أن يقول : غنخ · فحروف هذه الكلمة متآلفة وليست نافرة الا أن العرب لا تستعملها · وكذلك تألوا فى الاحرف الثلاثة خضع ، لكن لم يقولوا عضخ فهذا مهمل ، ومن الملاحظ أن علماء اللغة لم يذكروا المهمل فى اقسام الكلام وانما ذكروه فى الابنية المهملة التى لم تقبل عليها العرب ·

الحقيقة والمجاز

الحقيقة : من قولنا حق الشيء اذا وجب واشتقاق الكلمة من الشيء المحقق أى المحكم مثلثوب محقق النسج أى محكم النسج مثل قول الشاعر :

تسربل جلد وجه ابيك انا
كعيناك المحافظة الرقابا

وهذا نوع من كلام يصدق بعضه بعضا من قولنا حق وحقيقة ، ونطق : الحقاق ، فالحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذى ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير مثل احمد الله على نعمه واحسانه · وقول الله جل وعز : والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ·

وكما جاء فى شعر العرب ·

لكمال المرء يصلحه فيغنى
مغامره أعف من القنوع

وقول الآخر :

وفى الشر نجاة حين
ن لا ينجيك احسان

المجاز : مأخوذ من جاز يجوز كقولك جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس · هذا هو الاصل ثم كقولك يجوز أو جائز أن يفعل كذا ، أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع · أى أن الكلام الحقيقى يمضى لسننه لا يعترض عليه وقد يجوز غيره جوازه لقربه منه الا أن الكلام الذى يجوز جواز الاول يكون فيه تشبيه أو استعارة كقولك عطاء فلان مزن واكف ، فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله عطاؤه كثير واف ، ومن ذلك فى كتاب الله عز وجل سنسمه على الخرطوم ، وهذا استعارة · وقال تعالى : وله الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام ، فهذا تشبيه ·

وقول الشاعر ··

الم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك دونها يتذبذب

كأنك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

اما فى بيت الشعر فيتذبذب ، التذبذب يكون لذبائب الثوب وهو ما يتدلى منه فيضطرب ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب ·

ومن قول العرب : هوت امه وثكلته وهبلته ، كقول كعب ابن سعد الغنوى يرثى أخاه :

هوت امه مايبعث الصبح غاديا
وماذا يوارى الليل حين يؤوب

هذا البيت يقال عند التعجب من اصابة الرجل بفعلة يفعلها ·

العلوم العربية والعلوم الاخرى

علم الاعراب : وقد اختص العرب بعلم الاعراب (النحو) وهو يبين الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ وبه يوضح الخبر ويميز بين الفاعل والمفعول وبين المضاف والمنعوت وبين التعجب والاستفهام وبين النعت والتأكيد ، والاعراب يختص بالاخبار ويكون الاعراب فى غير الخبر لانا نقول أزيد عندك وأزيدا ضربت ، فقد عمل الاعراب وليس من باب الخبر ·

لقد قيل ان الفلاسفة كان لهم اعراب ومؤلفات فى النحو وهذا كلام غير صحيح ، وانما أخذ أولئك الفلاسفة عن علماء العرب وغيروا فى كتبهم بعض

الالفاظ ونسبوا ذلك لاسماء مصطنعة * بتراجم بشعة لا يستطيع اى لسان ان يفقهها :

الشعر : وان الشعر الذى وردنا لاولئك كان قليل المآثر نزرا غير مستقيم الوزن . وللعرب شعرهم لان شعر العرب ديوانهم وحافظ مآثرهم ومقيد احسابهم(1).

العروض : علم العروض عند العرب هو ميزان الشعر عن طريقه يعرف صحيحه من سقيمه والذى يعرف الشعر العربى واسراره وخفاياه يستطيع ان يتغلب على اولئك الفلاسفة الذين يدعون انهم يعرفون حقائق الاشياء بواسطة الاعداد والخطوط والنقط الذى لا فائدة لها الا انها تضعف الدين وتنتج كل كفر **على حد راى ابن الانبارى** حيث يقول فى هذا المعنى تحت باب ذكر ما اختصت به العرب من العلوم الجليلة (ثم للعرب العروض التى هى ميزان الشعر وبها يعرف صحيحه من سقيمه ومن عرف دقائقه واسراره وخفاياه علم انه يربى على جميع ما يتبجح به هؤلاء الذين ينتحلون معرفة حقائق الاشياء من الاعداد والخطوط والنقط التى لا اعرف لها فائدة غير انها مع قلة فائدتها ترق الدين وتنتج كل ما نعوذ بالله منه) .

حفظ الانساب :

ومن علوم العرب حفظ الانساب فقد ذكر ابن الانبارى انه لم يعتن احد من الامم بحفظ الانساب عناية العرب لقول الله عز وجل :

ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . آية ما عمل بمضمونها غيرهم وقد خص الله العرب كما يقول ابن الانبارى فى طهارتهم ونزاهتهم عن الادناس التي استباحها غيرهم .

الكلام فى الاتفاق والافتراق :

1 — اختلاف اللفظ والمعنى : مثل سيف ورمح ورجل وفرس ، وهذا النوع اكثر انواع الكلام واشهره .

2 — اختلاف اللفظ واتفاق المعنى : مثل ليث واسد عضب وسيف ، ترى اختلاف الكلمات فى الحروف الا ان معناها واحد .

3 — اتفاق اللفظ واختلاف المعنى : مثل عين الماء وعين المال وعين الركبة ، وعين الميزان . مثل قوله تعالى: قضى عليه الموت اى حكم ، وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى أمر ويأتى قضى بمعنى اعلم كقوله تعالى : وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اعلمناهم .

4 — تقارب اللفظين والمعنيين : كالخزن والحزم فالخزم من الارض ارفع من الخزن ، وكالخضم والقضم الخضم بالفم كله والقضم باطراف الاسنان .

5 — اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم مدحه اذا كان حيا وابنه اذا كان ميتا .

6 — تقارب اللفظين واختلاف المعنيين : مثل حرج اذا وقع فى الحرج وتحرج اذا تباعد من الحرج ، وفزع اذا اتاه الفزع وفزع قلبه اذا نحى عنه الفزع ، قال جل وعز : حتى اذا فزع عن قلوبهم ، اراد الله خرج الفزع عنها .

الشعر

تعريف : يعرف ابن الانبارى الشعر بانه الكلام الموزون المقفى الذى يدل على معنى ويشترط ان يكون اكثر من بيت لانه يجوز ان يكتب كاتب عنوانا وكلاما من غير قصد فتوافق ان يكون موزونا كوزن الشعر ويضرب لذلك مثلا فيقول كتب بعض الناس عنوان كتاب :

للامير المسيب بن زهير
من عقال بن شبه بن عقال

---

* لعله يقصد بالفلاسفة (امة الاغريق) وقد كان للاغريقية اعرابها فعلا وكانت علامات الاعراب فيها ستا ، مقابل الحركات الثلاث فى العربية ، وكان للاغريقية نحوها وحرفها ايضا كما كان لها شعرها وتراثها الثقافى الباذخ — (اللسان العربى) .

1) راى ابن الانبارى ان معرفة حقائق الاشياء من الاعداد والخطوط والنقط (يعنى المنطق والفلسفة) ترق الدين وتنتج كل ما نعوذ بالله منه راى مردود عليه ، فللعلوم العربية مكانتها وفائدتها ، وكذلك للفلسفة والمنطق مكانتهما ، وقد افادت الفلسفة العلوم العربية ونهضت بالفكر العربى الاسلامى للتقدم والمدنية ، وكان علماء عرب كثيرون وصفوا بالفلاسفة كابن رشد وابن سينا ، والتفكير الفلسفى يوصلنا لمعرفة الحقيقة والوصول لاثبات وجود الله عن طريق العقل والاستدلال .

فهذا يوافق وزن الخفيف والذى كتبه لا يقصد أن يكتب شعرا · وقد يوافق كثير من كلمات الله عز وجل بحور الشعر ، وكتاب الله عز وجل منزه عن شبه الشعر كما نزه الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر · ويعلل ابن الانبارى ذلك بالآية الكريمة «الشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنو وعملوا الصالحات » فالرسول عليه الصلاة والسلام افضل الصالحين الا انه على حد راى ابن الانبارى لاينبغى له ان يقول الشعر ويقول ان للشعر شرائط لا يسمى الانسان بغيرها شاعرا لانه لو ان انسانا عمل كلاما مستقيما موزونا يتحرى فيه الصدق من غير ان يفرط او يتعدى او يميز او ياتى فيه باشياء لا يمكن كونها بتة لما سماه الناس شاعرا او كان ما يقوله ساقطا · ويروى عن بعض العقلاء انه سئل عن الشعر فقال ان هزل اضحك وان جد كذب فالشاعر بين كذب واضحاك وقد قيل ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة (1) ·

وجهة نظر اهل العروض :

وجهة نظر اهل العروض فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر ان اهل العروض يجمعون على ان صناعة العروض (الشعر) وصناعة الايقاع (الموسيقى) لا فرق بينهما الا ان الايقاع تقسيم الزمان بالنغم والعروض تقسيم الزمان بالحروف ولما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع والايقاع ضرب من الملاهى لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم·

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ما انا من دَدٍ ولا ددٌ منى ·

والله سبحانه وتعالى نزه نبيه عن قول الشعر حيث آتاه من الحكمة فى القرآن القسم الاكبر والنصيب الاوفى ووصفه فى الآية : ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ·

قيمة الشعر والشعراء عند العرب :

يقول ابن الانبارى أن الشعر ديوان العرب به حفظت الانساب وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله تبارك وتعالى وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث الصحابة والتابعين رحمهم الله ·

ما يجوز للشاعر ومالا يجوز :

لقد قيل يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره ، والشعراء امراء الكلام يقصرون الممدود ولا يمدون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويومئون ويشيرون ويعبرون ويستعبرون وقد يكون شاعر اشعر من آخر وشعر احلى واطرف من شعر آخر ويحتج بالشعر القديم والجديد ·

للشاعر ان يبسط وان يختصر فمثال ذلك :

أن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
او تنزلون فانا معشر نزل

معناه ان تركبوا ركبنا وان تنزلوا فالشاعر بسط من البيت ومثل قوله :

فان تدعى نجدا ندعه ومن به
وان تسكنى نجداً فيا حبذا نجد

اراد ان تسكنى نجدا سكناه وان تتركيه نتركه فبسط لضرورة وزن الشعر ·

---

1) راى ابن الانبارى مردود عليه ، وذلك أن كثيرا من الشعراء وصفوا الحقيقة ولم يتجاوزوها واعتبروا من أقوى الشعراء وقد خص الله الرسول عليه الصلاة والسلام بشىء اعظم من الشعر وهو القرآن الا أن الرسول كان يعجب ببعض الشعر وكان شاعره حسان ابن ثابت وابن رواحة يستمع لاشعارهم وقد اثنى صلى الله عليه وسلم على بيت من الشعر قاله لبيد فى الجاهلية وهو :

الاكل شىء ماخلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ووجهة نظر اهل العروض سليمة كما أن الشعر فى العصر الحديث اصبح يشارك فى مسيرة النضال ضد الامبريالية والاستعمار·

مـــالا يجـــوز للشاعـــر :

فلا يجوز لاى شاعر ان يلحن فى اعراب او يزيل كلمة صحيحة ويضع مكانها خطا · والقول بأن للشاعر عند الضرورة ان يأتى بما لا يجوز كلام لا معنى له مثـــل (قفا عند مما تعرفان ربوع) فهذا غلط وخطأ والشعراء ليسوا معصومين فما صح من شعرهم مقبول وما ابته اللغة العربية مردود ·

اول من وضع عـــلم العـــروض :

يتطرق ابن الانبارى لهذا الموضوع.تحت (بـــاب اختلاف لغات العرب) فيقول : نحن لا ننكر ان اول مـــن وضع علم العروض الخليل واول من وضع النحو ابـــو الاسود الا ان هذين العلمين قد كانا **قديما واتت عليهما الايام ثم حددهما هذان العالمان ويقول ان** العروض(1) كان متعارفا معلوما اتفق اهل العلم على ان المشركين لما سمعوا القرآن قال اناس منهم انه شعر فقال الوليد ابن المغيرة منكرا عليهم لقد عـــرضت ما يقراه محمـــد على قراء الشعر وهو لا يعرف بحـــور الشعـــر ·

معانى الالفاظ التى تعبر عن الاشياء

المعنى ــ التفسير ــ التاويل

المقصد بين المعنى والتفسير والتأويل متقارن ·

المعنى : هو القصد والمراد يقال عنيت بهذا الكلام كذا اى قصدت وعمت يقـــول ابن الانبارى فى بـــاب معانى الفاظ العبارات التى يعبر بها عـــن الاشياء ــ انشدنى القطان عن ثعلب عن ابن الاعرابى ·

مثل اليراع غـــدا فى اصده خلـــق
لم يستعن وحوام المـــوت يغشاه

فرجت عنه بصـــر عيثا لارملـــة
او بائـــس جاء معنـــاه كمعنـــاه

يقول فى رجل قدم ليقتل وانه فرج عنه بصرعيـــنا اى فرقين من غنم يقول قد كنت اعددتها لارملة تأتينـــى او لبائس مثل هذا المقدم ليقتل ، معناه كمعناه اى انّ مقصدهما فى السؤال والبؤس واحد · ويجوز أن يكون المعنى الحال بأن حالهما واحدة · وقال قوم اشتقاق المعنى من الاظهار ، وقال الفراء لم تعن بلادنا لشىء اذا لـــم تفد . فالمراد بالمعنى الشىء الذى يفيده اللفظ كما يقال لم تعن هذه للارض اى لم تفـــد ·

التفسير : التفسير هو التفصيل ، كذا قال ابـــن عباس فى قوله جل وعـــز « واحسن تفسيرا » قـــال تفصيلا . واما استقامة · فمن التفسير ، يروى ابـــن الانبارى ان القطان اخبره عن المعمدانى عن أبيه معروف ابن حيان عن الليث عـــن الخليـــل قال التفسير البيان واشتقاقه من فسر الطيب الماء اذا نظر اليه · ويقال النـــفسرة ايضا·

التاويـــل :

التأويل آخـــر الامر وعاقبته يقال الى اى شىء مآل هذا الامر اى مصيره وآخرته وعقباه · وقد قالوا فى قوله عز وجل « وما يعلم تأويله الا الله » اى لايعلـــم الاحوال والمدد الا الله ، لان القوم قالوا فى مدة هـــذه الملة ما قالوا فمآل الامـــر وعقباه لا يعلمـــه الا الله ، واشتقاق الكلمة من المآل وهو العاقبة والمصير ·

قـــال عبـــده بـــن الطيب :

وللأحبـــة ايـــام تـــذكـــرهـــا
وللنوى قبـــل يوم البين تاويـــل

---

(1) تجمع اغلب كتب العروض على ان علم العروض وضع على يد الخليل ففى ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب للاستاذ المرحوم احمد الهاشمى فى اسفل الصفحة 3 يقول : قيل ان الخليل اهتدى الى وضع هذا الفن بمعرفة علم الانغام والايقاع لتقاربهما وقيل انه مر يوما بسوق الصفارين فسمع دقدقة مطارقهم على الطســوت فأداه ذلك الى تقطيع ابيات الشعر ، وفتح الله عليه بعلم العروض · ووجهة نظر ابن الانبارى ان علم العروض كان متعارفا معلوما وجهة نظر غير سليمة ، وان المثل الذى استدل به وهو ان الوليد ابن المغيرة عرض القرآن على قراء الشعر لا يدل على وجود علم للعروض يقاس عليه ، وقد كان للعرب محكمون بمثابة خبراء فى الشعر ولم ترتق العقلية العربية وقتها لوضع علم منظم كالذى وضعه الخليـــل والعرب كانت تتذوق الشعر بخبرة وبسليقـــة وسجية ، لما سبق فانه يرجـــع الفضل فى ظهـــور علم العروض للخليل ابن احمد الفراهيدى البصرى اولا واخيرا ·

قـــال الاعشى :

على انهـــا كانـــت تأول حبهـــــا
تأول دبعى السقابـــى فأصحبـــا

ويقصد ان حبها كان صغيرا فى قلبه فآل الى العظم ولم يزل يشب حتى صار كالسقب الـــذى لم يزل يشب حتى اصحبت يغنى انه اذا استصحبته أمه صحبها ·

« العمـــوم والخصـــوص »

العـــام :

الذى يقع على الجملة كلها لا يترك منها شيئا، فقد ذكر ابن الانبارى فى باب (العمـــوم والخصوص) العموم الذى يأتى على الجملة لا يغادر منها شيئا·

الخـــاص :

هو الذى يجزأ فيقع على شىء دون اشياء كقوله جل وعز « وامراة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى »

وقوله « واتقونى ياأولى الالباب » فخاطب اهل العقـــل ·

اتصال العمـــوم والخصوص :

وقد يكون العموم متصلا بـــالخصوص فيكـــون احداهما خاصا والآخـــر عاما ·

مثال : يقال لمن اعطى زيدا درهما : أعط عمـــراً فان لم تفعل فما اعطيت (يريد ان لم تعط عمرا كأنك لم تعط زيدا وهذا غير محسوب لك) ·

ومثال قوله جل وعز : « ياايها الرسول بلغ مـــا انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلّغـــت رسالته » فهذا خاص يريد هذا الامر المحدد بلغة فان لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته يريد جميع ما ارسلت به ·

العلم الذى يريد بـــه الخاص :

مثال قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « وانه اول المومنين » ولم يرد كل المومنين لان الانبيـــاء صلوات الله عليهم قد كانوا مؤمنين قبله ومثله كثير ، ومنه « قالت الاعراب آمنا » ولم تقل كل الاعراب انما قالته مزينة منهم ، وقوله عز وجل « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » يريـــد الآيات التى اذا كذب بها نزل العذاب على المكذب · ومنه قوله تعالى : « ويستغفر للذين آمنوا »·

الخاص الذى يـــراد بـــه العام :

قال الله تعالى « ياايها النبى اتق الله ولاتطـــع الكافرين والمنافقين » والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن المراد جميع المسلمين ·

تحويـــل الخطاب من الشاهد للغـــائب

جرت العرب على ان تخاطب الحاضر ثم تحول اثناء حديثها الخطاب للغائب كقول النابغة :

يادار ميـــة بالعلياء والسنـــد
اقـــوت وطال عليها سالف الامد

فخاطب دارمية ثم حول الخطاب كانه يخاطب شيئا ليس امامه اى غائبا حيث قال اقوت ـــ الخ ·

وفى كتاب الله عز وجل « حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم » خاطب جماعة امامـــه ثم حـــول الخطاب للغائب حيث قال وجرين بهم اى لسفن سارت بهم · وقول الله عز وجل «وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » خاطب المسلمين الشاهدين امامه ثم حول الخطاب للغائبين قائلا فأولئك هم المضعفون وقوله تعالى « لكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم » ثم قال فى آخر الآية محولا الخطاب للغائب « اولئك هم الراشدون » ·

قال الشاعـــر :

اسيئـــى بنا او احسنى لا ملومة
لـــدينـــا ولا تعليـــه ان تعلـــت

خاطب الشاهد فقال اسيئى لنا ـــ الخ ثم حـــول الخطاب للغائب فقال ولا تعليه ان تعلـــت·

تحويل الخطاب من الغائب للشاهد

العرب كما تحول الخطاب من الشاهد للغائـــب كذلك تحول الكلام من الغائب للشاهد حيث يجعلـــون خطاب الغائب يقصدون به الشاهد (اى الحاضر) مثال

قال الهندى :

ياويح نفسى كان جدة خلد
وبياض وجهك للتراب الاعفر

فخبر عن خلد ثم واجه فقال وبياض وجهك.

ومثال آخر :

شطت مزار العاشقين فأصبحت
عسرا علىّ طلابك ابنة محزم

خاطب الغائب فقال شطت مزار العاشقين ثم حول الخطاب للشاهد فقال على طلابك ابنة محزم.

مخاطبة المخاطب وهو يعنى مخاطبة غيره

ورد فى اللغة العربية أن تخاطب شخصا وتقصد بالخطاب غيره كقوله عز وجل « فان لم يستجيبوا لكم » الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن المقصود هو الكفار الذين لم يستجيبوا للنبى . وقوله عز وجل « فهل انتم مسلمون » وكذلك قوله عز وجل « فمن ربكما ياموسى قال فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى» . وكثير فى القرآن أن يبتدأ بالشىء ثم يخبر عن غيره ؛ قال شداد ابن معاوية :

فمن يك سائلا عنى فانى

وجروة لا ترود ولا تعار

وجروة فرسه والمسألة عنه والخبر عن غيره.

وجاء فى كتاب الله عز وجل : « أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا» بدأ بهم ثم قال ان الله يفصل بينهم .

ومنه قول العلى : «ان مالت بى الريح ميلة الىابن أبى ذبان ان يتندما » فذكر نفسه وترك واقبل على غيره كأنه أراد لعل ابى ذبان أن يتندم ان مالت الريح عليه . ومنه فى كتاب الله عز وجل « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن ».

الحذف والاختصار

من عادة العرب فى اللغة الحذف والاختصار يقولون والله افعل ذلك وهم يقصدون لا افعل ؛ اتانا عند مغيب الشمس أو حين أراد او حين كادت تغرب.

قال ذو الرمة :

فلما لبسن الليل او حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

وفى كتاب الله عز وجل :

« وسل القرية » اراد اهل القرية . « والحج اشهر معلومات » ونحن نطأ السماء اى مطرها ، و « على خوف من فرعون وملئهم » اى اتباع فرعون . والاضمار فى قوله عز وجل « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين » لانه لو قيل من عمل صالحا جعلناه فى جملة الصالحين لم تكن له فائدة والاضمار لندخلنهم الجنة فى زمرة الصالحين . ومنه قوله عز وجل « اضرب بعصاك البحر فانفلق » ومنه « انى آمنت بربكم فاسمعونى قيل ادخل الجنة » اى فلما قال ذلك قيل ادخل الجنة ومنه «تركنا عليه الاخرين» اراد الثناء الحسن والعاقبة الحسنة فى الآخرة .

الاطلاق والتقييد

تعريف الاطلاق : فى باب الخطاب المطلق والمقيد يعرف ابن الانبارى الاطلاق انه ذكر الشىء باسمه لا تقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولاعدد ولا شىء يشبه ذلك .

التقييد : ويعرف التقييد فيقول : الشىء يذكر بقرين اما أن يكون صفة او شرطا او زمانا او عددا او أى شىء فيكون القرين زائدا فى المعنى .

امثلة : زيد ليث . وهنا يشبه بالليث فى شجاعته أما اذا زاد « كالليث الحرب » اى الغضبان الذى سلب فريسته كان ذلك ادهى له . ومن امثلة المطلق قول القائل:

« ترائبها مصقولة كالسجنجل » شبه صدرها بالمرآة . أما ذو الرمة فقد زاد المعنى عندما قيد الاسلوب فقال « ووجه كمرآة الغريبة اسجح » ذكر المرآة كما ذكر فى القول الاول السجنجل مما زاد المعنى حيث ان الغريبة تحتاج ان تكون مرآتها اصفى وانقى لتريها ما تحتاج اليه من سحر وجهها أما الحربية فلها من يعلمها محاسنها من مساوئها . ويروى ابن الانبارى فى نفس الباب أمثلة منها قول الاعشى :

تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى يتفهق

فشبه الجفنة بالجابية وهى الحوض ، وقيدها نذكر الشيخ العراقى ، لان العراقى اذا لم يعرف مواضع الماء ومواضع الغيث وكان بالبادية فهو يحرص على جمع الماء الكثير معه اكثر من البدوى الذى يعرف منابع المياه .

ومثال قول حميد بن نور يصف بعيرا :

بعيرا محلا باطواق عتاق لبينها
على الضر راعى الثلة المتعيف

فقال راعى ثلة ولم يطلق اسم الراعى وذلك انهم يقولون ان راعى الغنم أجهل الرعاة فيقول ان هذا البعير محلى باطواق عتاق اى كريمة بينها راعى الثلة على جهله فكيف بعير من يعرف .

الخصائص

للعرب كلام يختص بمعان خاصة لا يجوز أن تعبر عن غير هذه المعانى وهذه تكون فى الخير والشر وفى الليل والنهار وفى الحسن والقبيح ومن ذلك قولك مكانك قال اهل العلم انها كلمة وضعت على الوعيد قال الله عز وجل « مكانكم انتم وشركاؤكم » كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم ، ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « ما حملكم على أن تتابعوا فى الكذب كما يتابع الفراش فى النار » .

قال ابو عبيد هو التهافت ولم نسمعه الا فى الشر ومن ذلك ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا . ويروى ابن الانبارى فيقول : اخبرنى ابو الحسن على بن ابراهيم قال سمعت أبا العباس المبرد يقول التأويب سير النهار لا تعريج فيه والاساد سير الليل لا تعريس فيه . ومن الخصائص فى الافعال ظننتنى وحسبتنى وخلتنى لا يقال ذلك الا فيما فيه أدنى شك ولا يقال ضربتنى . ولا يكون التأبين الا مدح الرجل ميتا، والمساعدة الزنا بالاماء خاصة ، والراكب راكب البعير خاصة ، ولج الجمل وخلات الناقة وحرن الفرس ، ونفشت الغنم ليلا وهملت نهارا (قال الخليل والبعيلة من الابل اسم مشتق من العمل ولا يقال الا للاناث) . والنعت وصف الشىء بما فيه من حسن الا اذا تكلف متكلف فيقول هذا نعت سوء . العرب العاربة تقول للشىء المستكمل نعت يريدون التتمة ، وليلة ذات ارزير اى حر شديد ولا يقال ذو ارزير . ويقولون القوم تاششوا اذا قام بعضهم لبعضهم للشر لا الخير ، ومثل ذلك جززت الشاه وحلقت المعز لا يكون الحلق فى الضأن ولا الجز فى المعزى ، ويقال وعظ البعير اى هدر ولا يقال فى الناقة ، ويقال ما اطيب قداوة هذا الطعام اى ريحه ولا يقال ذلك الا فى الطبخ والشواء ، وفى النفى يقال ما بها أرم اى ما بها أحد .

الابدال

من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض فيقولون مدحه ومدهه ، وفرس وفز ورفل وهو كثير مشهور . وقول الله عز وجل « فانفلق فكان كل فرق » فالفراء فى فرق واللام فى انفلق وهى بمعنى واحد وكما تقول العرب فلق الصبح وفرقه .

الاشتراك

معنى الاشتراك : ان تكون اللفظة محتملة لمعنيين او اكثر كقوله عز وجل « فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل » فقوله فليلقه اليم يحتمل أن يكون اليم امر بالقائه ، ومنه قولهم ارايت فهو مرة للاستفتاء والسؤال كقولك ارايت أن صلى الامام قاعدا كيف يصلى من خلفه ، ويكون مرة للتنبيه ولا تقتضى مفعولا قال الله عز وجل « ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بأن الله يرى » وقوله جل وعز « ذرنى ومن خلقت وحيدا » فهو مشترك يحتمل أن يكون الله جل وعز لانه انفرد بخلقه ومحتمل على حد راى ابن الانبارى أن الله خلقه وحيدا مجردا من ماله وولده .

الزيادة

قال بعض اهل العلم ان العرب تزيد فى كلامها اسماء وافعالا اما الاسماء فالاسم والوجه والمثل .

أ ـ زيادة الاسم : فى قولنا « بسم الله » اراد بالله ولكن عندما اشبه القسم زيد الاسم .

الوجه مثال : « وجهى اليك » وفى قول الله عز وجل « ويبقى وجه ربك » . وقال الشاعر :

أستغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل

زيادة المثل : يقول الله جل ثناؤه :

« فأتوا بسورة من مثله » ويقول قائلهم :

« مثلى لا يخضع لمثلك » اى انا لا اخضع لك ، وقوله جل وعز : « وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله » اى عليه ، ، ،

ب ـ اما الزيادة فى الافعال : ـ ففى قولهم كاد فى قول الشاعر :

حتى تناول كلبا فى ديارهم
وكاد يسمو الى الجوزين فارتفعا

اراد وسما الا ترى انه قال فارتفع . ومما يزاد ايضا من الافعال قول القائل : لا اعلم فى ذلك اختلافا وفى كتاب الله جل وعز « أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض » وقد تزاد حروف من حروف المعانى كزيادة لاومن وغير ذلك .

التكرار

من عادة العرب التكرار والاعادة لفرض الابلاغ حسب العناية بالامر فقد قال الحارث بن عباد « قربا مربط النعامة منى » وكرر هذا القول فى رؤوس ابيات كثيرة عناية بالامر وارادة الابلاغ والتنبيه والتحذير

وقول الاشعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى تقول نساؤهم هذا الفتى

وكرر هذه الكلمة فى رؤوس ابيات على ذلك المذهب . وكذلك قول من كرر « مهلا بنى عمنا مهلا موالينا » وقول الآخر « كم نعمة كانت له كم كم وكم » فكرر لفظ كم لفرط العناية يقصد تكثير العدد . وقد جاء فى كتاب الله تعالى قوله جل وعز « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وكرر هذه العبارة كثيرا .

فأماتكرار الانباء والقصص فى كتاب الله تبارك وتعالى فقد قيلت فيه وجوه وأصح ما يقال فيه أن الله عز وجل جعل هذا القرآن معجزة وقد عجز القوم عن الاتيان بمثله اثباتا لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين واوضح الامر فى عجزهم بأن كرر القصة فى مواضع اعلاما انهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبروا .

الافراط

العرب تفرط احيانا فى صفة شىء ، مجاوزة للقدر اقتدارا على الكلام كقول الشاعر :

بخيل تضل البلق فى حجراته
ترى الاكم فيه سجدا للحوافر

ويقولون لما اتى خبر لزيد تواضعت اسوار المدينة وخشعت الجبال ويقولون ضربته فى الملتقى ضربة نزال عن منكبه الكاهل فصار ما بينهما رهوة يمشى بها الرامح والنابل .

الاتباع

وهو ان تتبع الكلمة الكلمة على وزنها او رويها اشباعا وتأكيدا ، وروى ان بعض العرب سئل عن ذلك فقال وشىء نبتدىء به كلامنا وذلك قولهم ساغب لاغب . وهو خب ضب وخراب يباب .

الاستطراد

تعريفه : ان يشبه شىء بشىء يميز المتكلم فى وصف المشبه به .

وقد قيل ان فى كتاب الله عز وجل من هذا النظم قوله : « ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم » ولم يجىء للذكر خبر ثم وصف الذكر فقال « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وجواب أن الذين كفروا قوله تعالى « أولئك ينادون من مكان بعيد » .

الاضمار

من سنن العرب الاضمار ويأتى فى الاسماء والافعال والحروف .

« قولهم الا يا اسلمى » يريدون به الا يا هذه اسلمى . وفى كتاب الله عز وجل « الا يجدوا ما ينفقون »

فلما لم يذكر هؤلاء بل اضمرهم اتصلت بـا بقولـه « اسجدوا » فصار كأنه فعل مستقبل ، ومنه قول ذى الـرمـة :

الا يا اسلمى يا دار مى على البلى
ولا زال منهلا بجر عائك القطـر

واخبرنى على بن ابراهيم عن محمد بن فرج عـن سلمة عن الفراء انه سمع بعض العرب يقـول « الا يرحمنا » يعنى الا يارينا ارحمنا . يقولون ياهل اتاها على مكان من حدث ، ويقولون يحلف ولست بحالـف يعنى يا هذا احلـف .

المحـــاذاة

معنى المحاذاة : وهو ان تجعل كلاما بحذاء كلام فيأتى على وزنه لفظا وان كانا مختلفين فيقولوا الغذايا والعشايا فقالوا الغذايا لاتضمامها الى العشايا . ومثله قولهم اعوذ بك من السآمة واللآمة فالسآمة من قولهم سمت اذا خصت واللآمة اصلها الملت لكـن لما قرنت بالسآمة جعلت فى وزنها وقول الله عز وجل : ولو شاء الله لسلطهم عليكم فاللام التى فى لسلطهم جـواب لو ومثله الله تعالى : لا عذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه . فهما لا بد القسم ثم قال او ليأتينى بسلطان فليس ذا موضع قسم لانـه عـذر للهدهد فلم يكن ليقسم على الهدهـد ان ياتى بعذر لكنه لما جاء على اثر ما يجـوز فيه القسم اجراه مجراه ومثال آخر كوزنته واتزنووكلته فانكال اى استوفاه كيلا ووزنا ومنـه قوله عز وجـل « فمالكم من عدة تعتدونها » اى تستوفونها لانها حـق للازواج على النساء ، وكذلك الجزاء عن الفعل بمـثل لفظه نحو « انما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم » اى يجازيهم جزاء الاستهـزاء ، ومكروا ومكـر اللـه ويسخرون منهم سخر الله منهم ، ونسوا الله فنسيهم ، وجزاء سيئة مثلها . وكما جاء فى شعر العرب :

الا لا يجهلـن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو شعـر (عمـر ابن كلثـوم)

التقديـم والتاخير

التعريف : يقدم الكلام عند العرب وهو فى المعنى مؤخر ، ويؤخر وهو فى المعنى مقدم ، كقول ذى الرمة :

« مابال عينك منها الماء ينسكب » اراد مابال عينك لينسكب منها الماء وقد جاء مثل هذا فى القرآن قال الله عز وجل « ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب » . تاويله والله اعلم ولو ترى اذ فزعوا واخذوا من مكان قريب فلا فوت ، لان لافوت يكون بعد الاخذ. ومن ذلك قوله عز وجل « هل اتاك حديث الغاشية » يعنى القيامة ، « وجوه يومئذ خاشعة » وذلـك يـوم القيامـة ثم قال « عاملة ناصبة » والنصب والعمـل يكونان فى الدنيا فكانه اذا على التقديم والتاخير معناه وجوه عاملة ناصبه فى الدنيا ، ويومئذ اى يوم القيامـة خاشعة ، والدليل على هذا قوله جل اسمه « وجـوه يومئذ ناعمة » ومنه قوله جل وعز « فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا » والمعنى لا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فى الحياة الدنيا وكذلـك قوله « فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون » معناه فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم . ومن ذلك قوله عز وجل « ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعـون الى الايمـان فتكفرون تاويله ، لمقت الله اياكم فى الدنيـا حين دعيتم الى الايمان فكفرتم ومقته اياكم اليوم اكبر من مقتكـم انفسكم اذ دعيتم الى الحساب وعند ندمكم على ما كان منكم .

اضمار الحـروف : والعرب يضمرون الحروف كقول الشاعر عنترة ابن شداد « الا ايهذا الزاجـرى احضر الوغى » بمعنى ان احضر الوغى . ويقولون والله لكان كذا ، بمعنى لقد . ويقولون حلفت والله لنامـوا اى لقد ناموا . وقوله عز وجل « وترغبون أن تنكحوهن » يقولون معناها فى أن تنكحوهن ، وقوله عز وجل « ومن آياته يريكم » معناها أن يريكم .

اضمـار الافعـال :

ومن ذلك قيل ويقال : كقوله عز وجل « فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم » اى فيقال لهم اكفرتـم لان اما لا بد لها فى الخبر من فاء فلما اضمر القول اضمر الفـاء .

ومثله :

فلا تدفنونى ان قبـرى محـرم
عليكم ولكـن خامـرى ام عامر

اى اتركونى للتى يقال لها خامرى · ومن كتاب الله عز وجل : « وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم » اى يقولون هذا يومكم · واسر رجل اسيرا ليلا فلما اصبح رآه اسود فقال اعبد اسار الليلة ؟ كانه قال الا ارانى اسرت عبدا · ومن الاضمار قوله عز وجل « قل لمن فى السموات والارض قل لله » فهذا مضمر كانه لما سالهم عادوا بالسؤال عليه فقيل له قل لله · ومن الاضمار قوله عز وجل « فقلنا اضربوه ببعضها (معناه فضربوه) كذلك يحيى الله الموتى » ·

الكناية

الكناية لها بابان احداهما ان يكنى عن الشىء فيذكر بغير اسمه تحسينا للفظ واكراما للمذكور وذلك كقوله عز وجل : — « قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » قالوا ان الجلود فى هذا الموضع كناية عن اداب الانسان وكذلك قوله عز وجل : « ولكن لا تواعدوهن سرا » انه النكاح وكذلك « او جاء احد منكم الغائط » والغائط مطمئن من الارض · والله عز وجل كريم يكنى كما قال فى قصة عيسى عليه السلام « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام » كناية عما لابد لاكل الطعام منه والكناية التى للتبجيل قولهم ابو فلان ·

والاسم يكون ظاهرا مثل زيد وعمرو ويكون مكنى وبعض النحويين يسميه مضمرا مثل وهى وهما وهن · وزعم بعض اهل العربية ان احوال الاسم الكناية ثم يكون ظاهرا قال ذلك ان اول حال المتكلم يخبر عن نفسه ومخاطبة فيقول انا وانت وهذان لا ظاهر لهما وسائر الاسماء تظهر ويكنى عنها مرة اخرى والكناية متصلة ومنفصلة ومستجنه ·

المتصلة : مثل التاء فى حملت وقمت

المنفصلة قولنا : اياه اردت

المستجنة : قام زيد ، فاذا كنينا عنه قلنا قام ، فنستر الاسم فى الفصل · وربما كنى عن الشىء لم يجر له كذكر فى قوله جل وعز : « يؤفك عنه » من افك اى يؤفك عن الدين ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اهل العلم وانما جاز هذا لانه قد جرى الذكر فى القرآن ·

قال حاتم :

اما وى مايغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكنى عن النفس فقال حشرجت · ويقولون : — اذا اعتبر افق وهبت شمالا اضمر الريح ولم يجربها ذكر ويكنى عن الشيئين والثلاثة بكناية الواحد فيقولون هو اثنتن الناس ، وقوله عز وجل : — « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » فهذا آدم عليه السلام « ثم جعلناه نطفة » فهذا لولده لان آدم لم يخلق من نطفة ·

الاستعارة

يعرف ابن الانبارى الاستعارة وهو ان يضعوا الكلمة للشىء مستعارة من موضع آخر فيقولون : انشقت عصاهم اذا تفرقوا ، وذلك يكون للعصا ولايكون للقوم · ويقولون كشفت عن ساقها الحرب ، وقول الله عز وجل « كانهم حمر مستنفرة » ، ويقولون للرجل المذموم انما هو حمار · قال الشاعر :

دفعت الى شيخ بجنب فنائه
هو العير الا انه يتكلم

ومنه قوله عز وجل : « والتفت الساق بالساق ، وانا لمردودون فى الحافرة اى فى الخلق الجديد · « وبل رانت على قلوبهم » وتقول العرب ان به النعاس غلب عليه ، ولقد خلقنا الانسان فى كبد اى ضيق وشدة ، وقوله عز وجل : فما بكت عليكم السماء والارض وما كانوا منظرين · وتقول العرب ناقة فاجرة ، يريدون انها تنفق نفسها بحسنها، وقوله عز وجل ، وتخطف الناس من حولهم ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، والا انما طائرهم عند الله ، ويراد خطهم وما يحصل لهم · والعرب تقول فانى لست منك ولست منى ، اذا ما طار من مالى الثمين اى حصل ، ومنه قوله عز وجل « اقم الصلاة » اى ايت بها كما امرت به ·

من عجائب التصغير فى بعض الكلمات

الأستاذ / محمد بن تاويت

جمعنى مجلس فى دور بعض اساتذة كلية الآداب لفاس ، ببعض الافاضل من أساتيذ الاقطار العربية الشقيقة ، كان فيهم الاديب العالم الدكتور عبد الله الطيب السودانى · وفى احاديثنا انجر الكلام الى الازهر الشريف ، الذى كان الدكتور يشيد بماضيه وطريقة تلقينه المفيدة ، ويأسف لتقلص ظل السماعات منها ، فى عصرنا الحاضر · وكمثال لفائدة السماع ، ذكر أن استاذنا الدكتور طه حسين — رحمه الله — سئل ذات يوم عن تصغير دابة ، فقال ، انه سمع من شيوخه ، انها دُوَيْبَّة ، بتشديد الباء ، فعلق الدكتور السودانى، على فائدة السماع فى هذه القضية ، التى لولاه ، لاحترنا فيها ·

والحقيقة انى استغربت فى قرارة نفسى ، هذا التصغير ، الذى يجتمع فيه محظور التقاء الساكنين ، ليس احدهما حرف لين · وكنت فيما مضى ، ساهيا عن قاعدة التصغير فى دابة ، فتقبلتها ، بتخفيف الباء ، مع ان القاعدة تابى ذلك ، حيث تقول الخلاصة ،

فعيعل مع فعيعيل لما فاق كجعل درهم دريهما

اذن ما الحيلة فى التخلص من المحذورين ·

لاكذب الله ، انى لجأت الى كتب عديدة أمهات وبنات ، نحويات ولغويات ، كذلك · فكان من بنات اللغويات «المنجد» (الذى يتجنى عليه ، بعضهم ، وما خدم المعجم العربى بمثل ما خدمه «المنجد» طوال القرن الرابع عشر الهجرى ، تقريبا) فوجدته ينص بالشكل على هذا التصغير ، الذى سمعه الدكتور طه من شيوخه، فى هذه الكلمة «دُوَيْبَّة» · وكان من أمهات اللغة ، كتاب ابن منظور ، اعنى (لسان العرب) ، الذى قال «وتصغير دابة دويبة ، الياء ساكنة ، وفيها اشمام من الكسر ، وكذلك ياء التصغير اذا جاء بعدها حرف مثقل فى كل شىء.ونقل هذه العبارة كذلك الزبيدى صاحب(التاج) وهذا يؤيد ما نقله ، أو سمعه الدكتور طه حسين، إذ الياء ساكنة ، وما بعدها مثقل ، ورجعت أيضا ، الى كتاب المصباح المنير ، فوجدت فيه فضل فائدة عظيمة ، فهو يقول : «وتصغيرها دويبة على القياس (يعنى التشديد كذلك لان هذا القياس يقتضيه) وسمع دُوَابَّة ، بقلب الياء الفا على غير قياس ·

ولعمرى ان هذه المخالفة للقياس ، احرى بأن تتقبل لدى الاذواق العربية السليمة السليقة ، وكل ما فى الامر أن التصغير جاء على هذه الحال ، تفاديا لهذه الكلفة ، فتتقبلها العربية ، على الرغم من أنف القاعدة العامة التى اقيمت لها · ويكون الخروج عن

القياس له وجه ، كما هو فى عشرات ، بل مائات المسائل اللغوية والصرفية فى العربية الرقيقة الحاشية ، أما كتب النحو ، فوجدت من بينها شرح الاشمونى ، الذى نص على قاعدة ، أصخت اليها بكل اهتمام ، معتقد انها ستفيدنى ،فما فعلتْ، ولافعل من حشى على الشرح، وسكت الجميع ، او مروا بها مر الكرام ، فقد قال الاشمونى :

« فان كانا فى كلمتين ، مثل جعل لك ، كان الادغام جائزا ، لا واجبا بشرطين ، ان لا يكونا همزتين ، نحو قرأ آية ، فان الادغام فى مثله ردىء ، وان لا يكون الحرف الذى قبلهما ساكنا غير لين »

فاذا أخذنا بهذه العلة مجردة ، وبصرف النظر عن كونها ذكرت ، فى حالة كون الادغام فى كلمتين ، فاننا لا نجيز قياس التصغير الذى طبق على دويبة ، بما سمع وذكر صراحة ، فى المعاجم الآنفة الذكر .

ويبقى السؤال بعد هذا ، لا يجد له جوابا وهو متعرض للنقض ، من جانب آخر .

ونطوى كتب المتاخرين، ومن هم فى حكم المتاخرين، ونصعد فى الزمان ، الذى نبت بهامه مائات السنين .

اننا ان فعله هذا وقفنا عند عتبة النحو الاولى ، وعند «الكتاب» الذى هو أقدم ما عرف فى تآليف النحو على الاطلاق والاستغراق . ففى هذا «الكتاب» نجد سيبويه يقول : « هذا باب تصغير المضاعف الذى قد ادغم أحد الحرفين منه فى الآخر ،وذلك قولك فى مدقّ، مديْقّ، وفى اصمّ ،أُصيْمّ ،ولا تغير الادغام عن حاله ،كما انك اذا كسرت مدقّا للجمع ، قلت ، مداقّ ، ولو كسرت اصمّ ، على عدة حروفه ، كما تكسر اجدلا ، فتقول ، اجادل لقلت ، أَصَامّ ، فانما اجريت التحقير على ذلك ، وجاز ان يكون الحرف المدغم بعد الياء الساكنة ، كما كان ذلك بعد الالف التى فى الجمع » .

فهنا نجد (سيبويه) ، ينفس عنا هذا الضيق الذى نشعر به عند هذا التصغير ، بأن الياء الساكنة ، قبل ذلك الساكن الذى نتج عن الادغام ، نزلت منزلة الالف. وهو لا حرج عليه ، فى نحو الطامّة والصاخّة والسادّة والدابّة ، ونحو ذلك مما له امثلة عديدة فى العربية فتكون نتيجة التصغير فى هذه الكلمات ، طُوَيْمّة ، وصُوَيْخّة ، ومُوَيْدّة ، بتشديد ما بعد ياء التصغير ، كما قيل فى دويبة ، مما تحولت الالف الثانية فيه واوا عند التصغير ، بمقتضى قول الخلاصة :

والالف الثانى المزيد يجعل واواً كذا الاصلى فيه يجعل

وهذه الفائدة اظن ان كثيرا مثلى ، كانوا يجهلونها، وينطقون عن حسن نية منهم ، كلمة دويبة بفتح الباء المخففة ، ولهم عذرهم فى هذا . . . واعتمادا على ما ذكر سماعه فى المصباح ، فيمكن تصغير هذه الكلمات، طُوَامّة ، وصُوَاخّة ، ومُوَادّة ، ونحوها حُواقّة ، لكلمة «الحاقة ما الحاقة» وجُوَادّة ، للجادة ، وحُوَامّة ، للحامة فتكون صيغة مُعَالّة ، بتشديد اللام ، صيغة عرفت فى هذا الباب ، ولا ندرى مصداقها ولا مصداق غيرها ، فيما ذكر سلفا ، من النصوص العربية العتيقة ، التى لما تسعفنا حتى هذه اللحظة من حياتنا .